الأدب الإسلامي المقارن

إن للأدب الإسلامي المقارن خصوصية وأصالة تخص مرجعيته الدينية والشعورية والوجدانية في علاقتها بالمواقف والتجارب الإنسانية لأنه يقوم على مكتسبات فكرية إنسانية عامة وذلك ما يسمح له أن يرتقي لمصاف العالمية.

فالأدب الإسلامي، وإن كان وجودُه منذ مجيء الإسلام إلا أنه اشتُهر كمذهب أدبيٍّ في الخميسنيات مِن القرن التاسعَ عشرَ الميلادي، وهو العصر الذهبي للأدب الإسلامي.

تعريف الأدب الإسلامي:

إن الأدب الإسلامي هو "الأدب الذي يتناول المعتقد الإسلامي وتعاليمه السَّمحَة بالمعنى الشامل، وبالتالي هو ما يَنبع مِن روح الإسلام ومبادئه"، وهذا مُصطلح جديد، له عدَّة تعريفات:

أ- الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن الحياة والكون والإنسان عن وجدان الأديب، تعبيرًا يَنبع مِن التصور الإسلامي للخالق ومخلوقاته، والقيم الإسلامية.

ب- "إن الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يُقدِّم التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان؛ وهناك يجب التركيز على شرط الأدبية والإسلامية معًا ويكون ملتزما وبالفِكر الإسلامي ومناهجه وثقافته وشروط الإبداع والكتابة الأدبية.

ج- إن الأدب الإسلامي هو أدب جديد مِن جهة وضعِه في مناهج الدراسة الأدبية والدعوة إلى إقامة مذهب إسلامي في الأدب يكون الإسلام الخلفية الأصلية والتاريخ الحقيقي لنشوء هذا المذهب في الأدب على غرار المذاهب الأدبية العالمية الأخرى وَفقًا لنظرية إسلامية صحيحة.

خصائص الأدب الإسلامي:

حسب الدارسين لهذه الخصائص أن الأدب الإسلامي له وخصائص يَمتاز بها عن غيره مِن المذاهب الأدبية وهي الكفيلة بجعله مذهبا أدبيا قائما بذاته، وهي كما يلي:

1- أنه أدب هادف:لأن الأدب الإسلامي ليس أدبا يحمل غاية لذاته وإنما لتأصيل القيَم ولبث الروح الإسلامية وتحقيق ما تتطلع إليه البشرية عامة.

2- أنه أدب مُلتزِم: أن يكون الأدب الإسلامي ملتزما بما جاء في السلام من مبادئ إنسانية عامة مغايرًا لالتزام المذاهب والأفكار من حوله في الآداب الأخرى، فهو التزام بالإسلام وقيمِه وتصوراته، وتقييدٌ بمبادئه ومثُله العليا وغاياته السامية.

3- أنه أدب أصيل :وتتجلَّى هذه الأصالة في التزام الأديب الإسلامي بالأصيل مِن خصائص الأمة الإسلامية، وما تتميز به مِن صفات، وخصال تجعلها مختلفة في مواقفها ونماذجها البشرية.

4- الاستقلال: وذلك بأن يستقل هذا الأدب في مواقفه حتى يكون قادرا على التأثير في الأدباء والآداب الأخرى، ولا يكون له ذلك إلا بالتحكَّم في رؤية الأشياء رؤية شاملة مِن جِهة، وبتكوين الشخصية الأدبية الإسلامية مِن جهة أخرى؛ بحيث لا يَرى الأديب المسلم إلا بعين الإسلام، ولا يصور إلا في إطار العالمية الإسلامية.

5- الثبات والرسوخ: فالأدب الإسلامي بسبب كونه يَستمِدُّ قيَمَه ومضمونه وتصوُّراته مِن الإسلام فإنه يَحتفظ دائمًا بشخصيته وهويته وروحه وتفكيره مستندا إلى ماضيه وحاضره. لأنه روح الإنسانية قاطبة بمبادئه الإنسانية وتصوراته عن البشرية.

6- الوعي العام:إن الأدب الإسلامي هو تصوير الحياة والإنسان والكون في صورة فنية مُلتزمة بفلسفة الإسلام وقيمه وخصائصه ومضامينه، وكل ما كان هذا الأدب ملتزما بالإسلام وما تتطلع إليه البشرية وتصبو إليه الإنسانية كان تأثيره أكثر وانتشاره في العالم ومكنه ذلك كله من العالمية.

7- النزعة الإنسانية: أن الأدب الإسلامي لا يصدر متوجها إلى الإنسان المسلم على وجه التحديد، وإنما يتوجه للإنسانية، مجرداً عن أية قضية محددة أو شخصية أو جهوية ضيقة فينبعث للحياة انبعاثا فطريا خالصا، دونما تكلف أو وعي محدود.

8- الرسالة الحضارية: كل ما كان هذا الأدب الإسلامي أدب حضارة حاملا لرسالة

إنسانية من خلال ما أفرزته نظرة الإسلام الواسعة الامتداد، والتنوع، على مدار تاريخ الحضارة الإسلامية؛ كان هذا الأدب أكثر انتشارا وتأثيرا وارتقى إلى مصاف العالمية.

إن أدبا يحمل هذه الحضارة ويسعى لتحقيق هذه الرسالة ستكون هذه الخصائص دون شك مدار العالمية في الأدب الإسلامي، وذلك من حيث الخاصية الإنسانية المجردة، التي تجعله قادراً على اختراق حواجز المرجعية الشعورية الذاتية الفردية في البناء النفسي للإنسان في شتى البنى الحضارية، لينفذ إلى صميم المرجعية الشعورية الفطرية الجماعية، والتي لا يختلف فيها الإنسان عن الإنسان في أي مكان بل وفى أي زمان على مدار التاريخ.

وهذه الميزة هي التي تمنح كتاباً مثل « طوق الحمامة في الألفة والآلاف » لابن حزم الأندلس، في القرن الخامس الهجري، حيوية بالغة عندما يترجم إلى عدد من اللغات الأوروبية الحديثة، حتى أنه يتصدر قائمة المبيعات الأدبية المشرقية في أوربا الشرقية، تاركاً وراءه أحدث الآثار الأدبية في الشرق، بما فيها تلك التي يجتهد أصحابها في تقليد المذاهب الأدبية الأوروبية ذاتها.

وهي التي تجعل كتاباً مثل "رسالة الغفران" لأبى العلاء المعرى أو "حي بن يقظان" لابن طفيل، منهلاً ينهل منه الأدباء الأوربيون، ويبدعون من خلال تلك الجاذبية الروحية التي تشد إليها وجدان البشرية في العديد من اللغات المختلفة والأنماط الحضارية المتباينة، ويبدعون على منواله.

9- العالمية في أدب الإسلام طبيعة طابعة، وخاصية أصيلة، نظراً للطبيعة الإنسانية التي تمثلها قاعدته الحضارية التي يصدر عنها، ومن ثم؛ فعندما نتحدث عن شروط إعادة أدب الإسلام إلى مدارات العالمية، فإن حديثنا ذاك, يتعادل تماماً مع حديثنا عن شروط نهضة الأدب الإسلامي خارج حدوده الجغرافية الضيقة.

إلا أن ثمة شروطاً فنية ومنهجية ومنطقية، ينبغي أن تراعى إذا أردنا لهذه النهضة الأدبية أن وتنح إلى العالمية وما تتطلع إليه البشرية عامة.